Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 02، جوان 2023، صص: 285- 300

تاريخ الاستلام(2023/01/02)تاريخ القبول (2023/05/18)تاريخ النشر(2023/06/30)

نونيّة ابن زيدون، دراسة لسانيّة نصيّة

Nunia Ibn Zaidoun, A Textual Linguistic Study

مليكة سعدي

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر(الجزائر)،sadi_malika@uni-mascara.dz

ملخص:

تتمثل أهميّة البحث في اعتماد منهج نقدي معاصر هو لسانيات النص لقراءة نص قديم هو قصيدة ابن زيدون الشهيرة. فكيف تجلّى الاتّساق والانسجام في نونيّة ابن زيدون؟ ما هي أدوات الربط التي اعتمد عليها النص في تحقيق تماسكه؟ يهدف البحث إلى تحليل هذا النص لإيجاد أهمّ مظاهر الاتّساق والانسجام، واستجلاء أهمّ عناصر الحجاج وفق مقاربة لسانية نصية تعتمد المنهج البنيوي.يحلّل هذا المقال قصيدة ابن زيدون النونيّة. فيبدأ بتعريف موجز للسانيات النص في المقدّمة، ثمّ يقطّع النص إلى وحدات ويحدّد نمط كلّ مقطع، ثم يبحث عن روابط الاتّساق في النّص، وتمثّلت في الضمائر والتكرار والتعارض والاستفهام. ثم يبحث في الأدوات اللغويّة الحجاجيّة في النص مثل الصور البيانيّة وأساليب الحوار والسرد والأسلوب المباشر وغير المباشر. وينتهي إلى الكشف عن انسجام النص من خلال التداول الإنجازي وعمليّات الترابط الدّلالي.

كلمات مفتاحية: نونية، ابن زيدون، دراسة، لسانية، نصية، اتساق، انسجام، حجاج

Summary:

The importance of this research is to adopt a contemporary critical approach that is the linguistics of the text, to read IbnZaidun's ancient and famous poem. How was consistency and harmony manifested in this poem? What are the linking tools that the text relied on to achieve its coherence? The research aims to analyze this text to find the most

المؤلف المرسل: سعدي مليكة، **الإيميل**: sadi_malika@yahoo.fr

important aspects of coherence and cohesion, and the most important elements of argumentation according to the linguistic-textual approach. that adopts the structural method. This article analyzes IbnZaidun's Nuni poem. It begins with a brief definition of the text linguistics in the Introduction. It then cuts the text into units, and defines the type for each section. Then it looks for coherence links in the text represented in pronouns, repetition, opposition and interrogative. Then it searches for argumentative linguistic tools in the text, such as rhetorical images, methods of dialogue, narration and the direct and indirect style. It ends with revealing the cohesion of the text through the performing pragmatic and the processes of semantic coherence.

key words: Poem, IbnZaidoun, study, linguistic, textual, coherence, cohesion, argumentation

1. مقدمة:

يعد الهولندي فان دايكVan Dijkالمؤسس الحقيقي للسانيات النص، "فقد كان سعيه إلى إقامة تصور متكامل حول (نحو النص) ملحّا منذ 1972، حيث ظهر كتابه (بعض مظاهر أنحاء النص) وظل مستمرّا إلى سنة 1977 مع كتابه(النص والسياق)، وحتى كتاباته الأخيرة، حيث بدأ ينطلق من تحليل سيكولساني للخطاب والنص، رابطا بين الدلالة والتداوليّة"[1].

ويبدو أهم ملمح في لسانيات النص "أنها حقل معرفي غني ومتداخل الاختصاصات يشكل محور ارتكاز عدّة علوم، ويتأثر دون شك بالدوافع ووجهات النظر والمناهج والأدوات والمقولات التي تقوم عليها هذه العلوم"[2].

تبحث اللسانيات النصية "في المضمون في حدّ ذاته، لأن النص ناتج عن استخدام اللغوية المحددة وفق قواعد محددة، فهو إبداع لغوي يستدعي واقعا معيّنا، أو وجهة نظر فعليّة تدرك على أنها أبنية للمعنى، وتتميّز اللسانيات النصية عن العلوم الأخرى التي تعنى بالنصوص كونها تهتم بالمضمون لأنه نتيجة لقواعد دلاليّة وتداوليّة تمّ توظيفها في الخطاب"[3].

يقصد بلسانيات النص ذلك الاتجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجاما، ويهتمّ بكيفيّة بناء النص وتركيبه[4]. وتهدف إلى تحليل النصوص والخطابات على مستويات عدة: صوتيّة وتركيبية ومعجمية ودلالية وتداوليّة ابتداء من أصغر وحدة في النص هي الجملة إلى آخر جملة في النص، عبر عمليات التتابع والترابط والتتالي[5]. وهي تحلّل النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة

أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة وأنواعها، والسياق النصي، ودور المشاركين في النص(المرسل والمستقبل).

لسانيات النص-بحسب برينكرBrinker- تعنى في المقام الأوّل بالنصوص التي تظهر فيها درجة أعلى من التعقيد، سواء من الناحية النحوية أو من الناحية الموضوعيّة[6]. وتطوّرت اللسانيات النصية المؤسسة تواصليا مستندة إلى التداوليّة التي "تبحث في المعنى الفعلي للكلام حيث يستعمل في سياق معيّن، وبقصد معيّن، ولا تدرس اللغة معلقة في الهواء"[7]. تتبع لسانيات النص منهجية بنيويّة، حيث يشرّح النّص ويفكّك إلى مقاطع وفقرات ومتواليات ضمن الوحدة الكليّة للنّص، أي بالتعامل مع النص المصغّر والنص المكبّر.

نونية ابن زيدون من أشهر نصوص الشعر الأندلسي، نظمها الشاعر بعد الجفوة التي حصلت بينه وبين محبوبته ولّادة بنت المستكفي، وأرسلها إليها يستعطفها ويعاتبها ويعبّر عن حبّه ووفائه لها. كيف تجلّى الاتّساق والانسجام في نونيّة ابن زيدون؟ ما هي أدوات الربط التي اعتمد عليها النص في تحقيق تماسكه؟ ما أهمّ العمليات الحجاجيّة التي استعان بها الشاعر لإقناع المرسل إليه؟

يهدف البحث إلى تحليل قصيدة ابن زيدون لاستقصاء أهمّ مظاهر الاتّساق والانسجام، واستجلاء أهمّ عناصر الحجاج فيها وفق مقاربة لسانيّة نصّية تعتمد على المنهج البنيوي.

2.تقطيع النص إلى وحدات:

1.2 مفهوم النص:

النص في أبسط تعريفاته هو نسيج من الجمل المترابطة فيما بينها نحويا وتركيبيا ودلاليا، وهو بنية لغوية منسجمة العناصر، أي أن"النص وحدة كبرى شاملة تتكوّن من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحويّة، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلاليّة، ومعنى ذلك أن النص وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها، والمقصود بالمستوى الأول (الأفقي) أن النص يتكوّن من وحدات نصيّة صغرى تربط بينها علاقات نحويّة، أما الثاني فيتكوّن من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلاليّة المنطقيّة"[8]. فالترابط شرط ضروري لتكوين نص وتمييزه عما هو ليس بنص.

ونجده في تعريف آخر أكثر شمولية بقولهم:"النص كلّ تحدّه مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندركه بصفته كلّا مترابطا بفعل العلاقات النحوية التركيبيّة بين القضايا

وداخلها، وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة والرّوابط والمنظمات العديدة، ولكن النص لا يكون مترابطا فحسب، بل ينبغي أن يتّصف بالاتّساق، بل إنّ الاتساق من الشروط الأساسية لبناء نصية المعنى"[9].

نبدأ التحليل بعمليّة التصنيف التي تستند إلى تجنيس النص إلى شعر، ثمّ عمليّة التنميط النوعي للنص الذي هو نص شعريّ، ثمّ ننتقل إلى عمليّة التقطيع، أي " تقطيع النص إلى ملفوظات أو جمل ثم تجميعها في مقاطع أو متواليات أو فقرات مرتّبة ومتتابعة ومتسلسلة ومعنونة. بمعنى تقطيع النص المكبّر إلى نصوص صغرى قابلة للتحليل والتّشريح"[10].ونرتكز في ذلك على انتقال الشاعر من فكرة إلى أخرى، أو من معنى جزئي إلى آخر.

2.2مقاطع النص:

سنكتفي في تحديد مقاطع النص بذكر البيت الذي يبتدئ به المقطع والبيت الذي ينتهي به، وترك ما بينهما تفاديا للإطالة.

المقطع الأوّل:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيْلاً مِنْ تَدانِيْنا ... وَنَابَ عَنْ طِيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيْنَا

ألا وقد حانَ صُبح البَيْنِ صَبَّحنا ... حينٌ فقام بنا للحين ناعِينا[11]

المقطع الثاني:

مَن مُبلغ المُبْلِسينا بانتزاحِهِم ... حُزنًا مع الدهر لا يَبلى ويُبلينا

و قد نكون و ما يخشى تفرّقنا ... فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا[12]

المقطع الثالث:

يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكم ... هل نال حظًا من العتبى أعادينا

حالت لفقدكم أيامنا فَغَدَتْ ... سُودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا[13]

المقطع الرّابع:

إذ جانب العيش طَلْقٌ من تألُّفنا ... ومربع اللهو صافٍ من تصافينا

ليسقِ عهدكم عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

المقطع الخامس:

لا تحسبوا نَأْيكم عنا يُغيّرنا ... إذ طالما غيَّر النأي المحبينا

فهل أرى الدهر يَقصينا مُساعَفةً ... منه ولم يكن غِبًّا تقاضينا

المقطع السادس:

ربيب ملك كأن الله أنشأه   مسكًا وقدَّر إنشاء الورى طينا

ما ضَرَّ أن لم نكن أكفاءَه شرفًا   وفي المودة كافٍ من تَكَافينا

المقطع السّابع:

يا روضةً طالما أجْنَتْ لَوَاحِظَنا   وردًا جلاه الصبا غَضًّا ونَسْرينا

سِرَّانِ في خاطرِ الظَّلْماء يَكتُمُنا   حتى يكاد لسان الصبح يُفشينا

المقطع الثامن:

لا غَرْوَ فِي أن ذكرنا الحزن حِينَ نَهَتْ عنه النُّهَى وتَركْنا الصبر ناسِينا

لا أَكْؤُسُ الراحِ تُبدى من شمائلنا   سِيمَا ارتياحٍ ولا الأوتارُ تُلهينا[14]

المقطع التاسع:

دُومِي على العهد، ما دُمْنا، مُحَافِظَةً   فالحُرُّ مَنْ دان إنصافًا كما دِينَا

عليكِ مِني سلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ   صَبَابةٌ بك نُخْفِيها، فَتُخفينا[15]

ثم نمرّ إلى عمليّات تنميط المقاطع: أي " تحديد أنواع المقاطع اعتمادا على القيمة المهيمنة حسب رومان جاكوبسون، كأن يكون هناك مقطع سردي، أو مقطع وصفي أو مقطع حواري، أو مقطع حجاجي أو مقطع إخباري. بعد ذلك نحدّد المقطع المهيمن والمقاطع التّابعة والخاضعة للمقطع الرّئيس"[16].

نلاحظ في النص أن المقطع الأوّل إخباري، والثاني وصفي، والثالث حواريّ والرّابع وصفي، والخامس حواريّ مع شيء من الحجاج؛ إذ يشتمل على حوار مع الحبيبة ومع الطبيعة، ومحاولة لإقناع الحبيبة بوفاء الشاعر وإخلاصه والمقطع السادس وصفي، والمقطع السابع وصفي حواري؛ إذ يصف زمان الوصل ويحاور الحبيبة ويذكّرها بالزمن الجميل ويتحسّر لها على تبدّل الحال. والمقطع الثامن وصفي حواري لكن يغلب عليه الوصف، والمقطع التاسع حواري يخاطب الحبيبة. فالمقطع المهيمن هو الوصفي الحواري، لأنّ النص يصف حال الشاعر بعد الفراق، كما يصف زمان الوصل والذكريات السعيدة ويصف جمال الحبيبة ويحاورها قصد الإقناع بالوفاء وطلب البقاء على العهد.

3.عمليات الربط والتنضيد أو عمليّات الاتّساق:

1.3 مفهومها:

يتمثّل الاتّساق في تلك العمليّات التي نحدّد فيها" مختلف الرّوابط التي تربط بين جمل النّص بالتّوقّف عند الرّوابط اللغويّة والتّركيبيّة والمعجميّة والدّلاليّة والوظيفيّة، كأن نحدّد روابط الإحالة وروابط الحذف، وروابط الاستبدال، وروابط السّببيّة، وروابط الوصل وروابط الاستنتاج وروابط التّعارض.... ويسمّى هذا بروابط الاتّساق التي تتمثّل في الضمائر المتّصلة والمنفصلة وأسماء الإشارة وحروف العطف والأسماء الموصولة، والتّكرار وأسماء الشّرط..."[17].

إن مفهوم الاتساق عند هاليداي ورقية حسن "مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنويّة القائمة داخل النص، والتي تحدّده كنصّ"[18]. ولا يتمّ الاتساق في المستوى الدّلالي فحسب، وإنما يتمّ أيضا "في مستويات أخرى كالنّحو والمعجم، وهذا مرتبط بتصوّر الباحثين للغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد/مستويات: الدلالة(المعاني)، والنحو-المعجم(الأشكال)، والصوت والكتابة(التعبير). يعني هذا التصوّر أن المعاني تتحقق كأشكال، والأشكال تتحقق كتعابير، وبتعبير أبسط تنقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة"[19].

ولأدوات الرّبط أهمية كبرى في اتّساق النص، ويرى فان دايك أن" أدوات الرّبط الطبيعيّة توجد لها دلالة مقصودة، فهي لا تربط قيم الصّدق، بل القضايا، وقيم القضايا في العوالم الممكنة: الأحداث. تقتضي أدوات الرّبط الطبيعيّة أن الجمل الفرعيّة والرّئيسيّة تعبّر عن ارتباط القضايا ارتباطا قصديّا. وإنّما تترابط القضايا إذا صارت الأحداث المدلول عليها مرتبطة في حال أو مقام ممكن، وإذا أصبحت متعلّقة مع محلّ التّحاور"[20]. ومن هنا نتأكّد أنّ صاحب النّص يستخدم أدوات الرّبط عن وعي قصدي لتؤدّي وظيفة الاتّساق في النّص والتي تتحقّق من خلال الرّبط بين القضايا في سياق أو مقام معيّن.

2.3 تحديد مظاهر الاتّساق في النص:

نحدّد روابط الاتّساق في المقطع الأوّل: نجد الضمير المتّصل في الكلمات: تدانينا، لقيانا، تجافينا، صبّحنا، بنا، ناعينا، وهو ضمير المتكلّم الذي يهدف إلى التّركيز على أنا الشاعر وحبيبته التي شاركته مشاعر الحب والفراق، أي على المرسل والمرسل إليه.

ونجد التّكرار في صبح- صبّحنا، حين- للحين الذي يخدم بنية التّشابه، ويفيد التأكيد ويشيع نغما داخليا في النصّ. ذلك أنّ"عناصر الإثارة الإيقاعيّة مهما تعدّدت وتنوّعت

ترديداتها من التّكرار الملفوظ إلى التكرار الملحوظ ينبغي ألّا تخرج عن وظيفتها الإيقاعيّة إلى إثارة مشاعر متباينة مرّة حزينة وأخرى سارّة، بل ينبغي أن تعمل على إثارة نشاط نفسيّ واحد يتنامى باستمرار ممّا يخلق في القصيدة وحدة شعوريّة وفنية أو عضويّة"[21]. كما نجد التّعارض في التنائي- تدانينا، ولقيانا- تجافينا الذي يدلّ على تبدّل الحال من الوصل إلى الهجر.

وفي المقطع الثاني نجد من روابط الاتّساق اسم الاستفهام "من" وهو يربط بين دلالة المقطع الأوّل الذي تمّ فيه وصف حال (المرسل)بعد الفراق؛ والمقطع الثاني الذي يهدف إلى توصيل هذه الحال للشريك(المرسل إليه).

ووظف في هذا المقطع من الضمائر المتصلة" هم" في كلمة انتزاحهم، فالمرسل يستخدم ضمير الغائب لينفي عن نفسه قرار الفراق الذي صدر عن الحبيبة؛ وفي ذلك عتاب رقيق واستعطاف. كما نجد الضمير"نا" في الفعل يبلينا الذي يدلّ على تأثر الشاعر وحده بهذا الفراق المضني. ويعود إلى الضمير المتصل "نا" في "تساقينا"، أنفسنا، أيدينا، الذي يدلّ على المشاركة بين الحبيبين في زمن الوصل السعيد قبل الفراق المرير.

ونجد التعارض في يضحكنا- يبكينا، لا يبلى- يبلينا وهدفه تبيين تبدّل الحال إلى النقيض ما بين الوصل والهجر. كما نجد الاسم الموصول"ما" الذي تكرّر في البيت السّادس الذي اعتمد على تساوي المقاطع الصّوتيّة في الشطرين وتراكيب الجمل.

في المقطع الثالث: نجد اسم الاستفهام "هل" في البيت الثامن، وغرضه عتاب الحبيبة التي أرضت الأعداء بابتعادها عن الشاعر في حين لم يفعل هو ذلك.ونجد الضمائر المتّصلة في الكلمات: بعدكم، لكم، التي تدلّ على توجيه الخطاب المباشر للحبيبة، والهاء في غيره التي تعود على الوفاء، وتفيد تجنب التكرار واستقامة الوزن.

وتكثر الضمائر المتصلة في هذا المقطع كما في الكلمات: حقنا، بنا، فينا، تسلينا، يئسنا، يغرينا، جوانحنا، مآقينا، ضمائرنا، تأسّينا، أيّامنا، ليالينا، التي تركّز الخطاب على ذات الشاعر المتكلّمة حينما يتعلّق الأمر بالعتاب. ويقابلها ضمير المخاطب في: تناجيكم، فقدكم، بكم، حينما يواصل الشاعر العتاب بوصف حاله قبل وبعد الهجر سعيا لإقناع الحبيبة بوفائه واصطباره على العهد.

ويظهر التعارض في أيّامنا سودا- بيضا ليالينا الذي يصوّر الحالين النقيضين الفراق والوصال. ونجد التكرار في اليأس- يئسنا- لليأس، دلالته التّأكيد والإقناع.

وفي المقطع الرّابع: نجد الضمير المتّصل في تألّفنا، تصافينا، هصرنا، جنينا، شينا، وهو جمع المتكلّم، ويدلّ في هذا السّياق لا على ذات الشاعر منفردة، بل عليه وعلى حبيبته، لأنه بصدد وصف المشاركة في نعيم الوصل بينهما. ونلاحظ التوازن بين التركيبين: طلق من تألّفنا- صاف من تصافينا، لتكرار معنى واحد هو سعادة الوصل المشتركة بين الحبيبين. وجاء هذا المقطع في دلالته العامّة التي تصف نعيم القرب لدعم دلالة المقطع السابق التي فيها تحسّر على ماضي الوصل، وأسى لحاضر الهجر، وعتاب للحبيب.

ومن روابط السببيّة نجد: دانية قطافها- فجنينا ما شينا، وتتضمّن الاسم الموصول ما. والتكرار في عهدكم- عهد الذي يفيد الاستبدال والتّأكيد، والتجانس الصوتي في أرواحنا- رياحينا.

المقطع الخامس: يعود لتوظيف الضمائر المتصلة جمع المخاطب وجمع المتكلّم التي تكرّرت منذ بداية النّص مسهمة في اتّساقه، ونجدها تكثر في هذا المقطع: نأيكم، منكم، يغيّرنا، أهواؤنا، أمانينا، يسقينا، تذكّرنا، يعنّينا، تحيّتنا، يحيينا، يقضينا، تقاضينا.

ويتميّز هذا المقطع أكثر ممّا سبق بالتّكرار اللفظي والمعنوي في: نأيكم-النأي، يغيّرنا-غيّر، اسق- يسقينا، الهوى-الودّ، تحيّتنا- حيّا، وتتجانس صوتيا مع يحيينا، ويقضينا- تقاضينا. كما كثر العطف في هذا المقطع: الواو، أو، الفاء. والتكرار عنصر من عناصر الاتساق المعجمي، "وهو يعدّ حسب شارول من الرّوابط التي تصل بين العلاقات اللسانيّة، فقاعدة التكرار الخطابيّة تتطلبّ الاستمراريّة في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأوّل أو بتغيير ذلك الوصف، ويتقدّم التكرار لتوكيد الحجّة والإيضاح"[22].

في المقطع السادس: نجد التكرار أنشأه- إنشاء، والتجانس الصوتي تأوّد- آدته، أكفاء- كاف- تكافينا. وفي المقطع السابع: صفة- الوصف، اللقاء- نلقاكم- تلقونا. والتعارض الدنيا- الحشر، الظلماء- الصبح، يكتمنا- يفشينا. ولا يقتصر التكرار" على ضمائم اسميّة متحاولة، بل يدور بوجه عام حول ورود متكرّر لأية عناصر، وتناسب تقوية الرّبط النحوي للنصوص صور التكرار التي لا تنشأ من العلاقة الموضوعيّة للنص، بل إنها تعيّن إضافة إلى ذلك. وهذه هي بداهة صور تكرار غير دلالية، تكرار ما يتعلّق باللفظ فقط"[23]. ونجد روابط السببية في: لسنا نسمّيك إجلالا وتكرمة.

أما في المقطع الثامن: نجد التعارض في ذكرنا- ناسينا، يروينا- يظمينا، والتكراروالتجانس الصوتي في نهت- النهى، عدتنا- عوادينا، الرّاح- ارتياح. والترابط الدّلالي في: قرأنا- مكتوبة، منهله- شربا، نجف- سالينا، نهجره- قالينا،الذي أسهم في اتّساق المقطع واتّساق النّص الكلّي.

المقطع التّاسع: لا يخلو هو الآخر من التّكرار والتجانس الصّوتي الذي ميّز النصّ من بدايته، ونجده هنا في: دومي- دمنا، دان-دينا، صبا- يصبينا. وكذلك التّرابط الدّلالي في: خليلا- حبيبا. والتعارض الدلالي في نخفها- تخفينا، وفيها تجانس لفظي.

4.العمليّات الحجاجيّة:

1.4 مفهومها:

هي الوسائل الإقناعيّة التي يستعين بها الكاتب في نصّه لبلوغ غايته في إقناع المتلقّين، و"الحجاج إجراء ذهني مشترك، قابل للاختزال في بناء صوري مخالف للبناءات المنطقيّة، ونسق استدلالي ذو طبيعة خطابيّة تتمظهر في استراتيجيات خطابيّة هادفة إلى التأثير...غاية الحجاج أطروحة معطاة في قضية الخطاب، أو سمة مميزة للخطاب، أو دافع إلى بنائه، وهي إما خالصة للخطيب، أو تابعة لمتلقّ يستنبط من الخطاب، أو من خارج الخطاب"[24].

ترى الباحثة أولكاكونزت أن نظريّة الحجاج تتّسع لتشمل الجوانب التداولية فتنحصر العلاقة الإقناعيّة بين قصد الإقناع والحاجات والرّغبات، وبين التلاؤم الضروري مع مبادئ الصّراحة والصّدق بواسطة الحجاج العقلاني، ويمتدّ التعارض إلى الحقيقة نفسها، فلا تدرك عن التجربة الحسّية فحسب، بل عن الحاجات والرّغبات أيضا، إذ يمكن أن ترينا الرّغبة ما ليس موجودا، وتنفي ما هو موجود بالفعل[25].

حسب" مانجينو" تنبني منهجيّة الحجاج على تحديد السّياق التّواصلي والإطار الاجتماعي التّاريخي، واستكشاف الأدوات اللغويّة الحجاجيّة كالصّور البلاغيّة وأساليب(الحوار والسرد والمونولوج والأسلوب المباشر، والأسلوب غير المباشر... ودراسة المضمر والمحذوف، والإشارة إلى حضور الغير السّامع الواقعي أو الافتراضي"[26].و تختلف وسائل الحجاج المستخدمة من نص إلى آخر، كما تختلف أنواع الأدوات اللغوية الحجاجية من كاتب إلى آخر حسب نوع النّص وموضوعه.

يشتمل كلّ نصّ على مجموعة من الوظائف المختلفة غير الوظيفة المهيمنة فيه، و"إن أي نص شعري أو أدبي تكون له إلى جانب الوظيفة الشعريّة وظائف أخرى مثل

الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجهية والوظيفة الإقناعيّة والتي يعبّر عنها بالأمر والنداء والتعجّب والسّؤال والنّدبة والاستغاثة والتحريض، أو بأسماء الأفعال والأساليب البلاغية والأفعال اللغوية والرّوابط التداوليّة الحجاجيّة"[27]. وتختلف طبيعة الحجاج وقوّته من نص شعري لآخر، "فكلما كان الشاعر صادقا في معاناته، ساعيا إلى تبليغ خطاب ما، راميا إلى التخاطب والتواصل مع الآخرين، له غاية واضحة وهدف محدّد يرمي إليه، كلما كان شعره أكثر حجاجية"[28].وهذا يعني أن النص الشعري يحتوي على الحجاج كغيره من النّصوص، وإن لم يكن طاغيا عليه، وتعتمد قوّة الحجاج على قوة عاطفة الشاعر وحضوره التواصلي.

2.4 الأدوات الحجاجيّة في النص:

الصّور البلاغيّة: استعان النّص بمجموعة هامّة من الصّور البلاغيّة الرّائعة في إيصال رسالة الشاعر إلى الحبيبة على النحو الذي يمكّنه من التّعبير عن مكنونات قلبهوأمنياته.

يطالعنا النّص في أوّل مقطع باستعارة مكنيّة جيّدة السّبك" الملبسينا حزنا لا يبلى"، تجسّد المعنى في صورة حسّية، فهي تجعل الحزن وهو إحساس بمثابة الثوب المتين الذي يلتصق بصاحبه ولا يتآكله الدّهر، بل لابسه هو الذي يضعف ويهن. ومثلها استعارة مكنيّة أخرى" تساقينا الهوى"، وهي تمثّل الحبّ بمثابة الشّراب السّلس العذب، وفيها تجسيد لصفاء الودّ وسعادته. و"قال الدّهر آمينا" فيها تشبيه للدّهر بالإنسان، فحذف المشبّه به وذكر شيء من لوازمه وهو الدّعاء؛ وفي هذه الاستعارة تجسيد لمرارة تواطؤ الدّهر مع الأعداء لتفريق الحبيبين. ومثلها استعارة أخرى" انحلّ ما كان معقودا بأنفسنا، وانبتّ ما كان موصولا بأيدينا" تجسّد الودّ بمثابة خيط أو حبل معقود يربط الحبيبين؛ تسبّب الأعداء في حلّه وتفريقهما.

ونجد التّشبيه البليغ" لم نعتقد إلّا الوفاء رأيا، ولم نتقلّد غيره دينا"، فطرفا التّشبيه مذكوران كلاهما دون أداة، فهو يشبّه الوفاء بالاعتقاد المتين، كما يشبّهه بالدّين الذي يتمسّك به صاحبه ولا يحيد عنه.

نجد الكناية في عبارة" تقرّوا عين ذي حسد"، وتعني راحة الحسّاد، وهي كناية متكرّرة في كلام العرب، وفي الذكر الحكيم:﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** ﴾الآية 26 من سورة مريم.

والكناية في عبارة" ما ابتلّت جوانحنا" ومعناها ما ارتاحت قلوبنا، و"لا جفّت مآقينا" كناية عن كثرة الحزن الذي تدلّ عليه الدموع.ونجد التشبيه البليغ مرّة أخرى كلّما تقدّمنا في قراءة النّص " كنتم رياحينا" وفيه تمثيل لجمال المحبوبة وأنس الشاعر بقربها.

الإحالات:

ويعود النص لتوظيف استعارة مكنية مشابهة لما ذكر سابقا " صرف الهوى والودّ يسقينا"، والاستعارة المكنيّة المبتكرة " كانت له الشمس ظئرا " التي تجسّد جمال المحبوبة وبهاءها المستقى من ضياء الشمس. و" فنون الوصل دانية قطافها"، وفيها تجسيد لحلاوة الوصال.

ونجد التشبيه المرسل " كأنّ الله أنشأه مسكا" يشبّه مادّة خلق المحبوبة بالمسك، في حين خلق النّاس كلهم من طين، وفيه تمثيل لجمالها ورفعة قدرها. والتشبيه البليغ " يا روضة" الذي يجسّد جمال المحبوبة، والتشبيه البليغ " يا جنّة الخلد" يشبّه زمان الوصل السعيد بالعيش الرّغيد في الجنّة، وفيه مبالغة كبرى تهدف إلى إقناع الحبيبة بقيمتها في حياة الشاعر وصعوبة فقدها.

وفي النّص الكثير من التّشبيهات والاستعارات الأخرى، وفي بعضها تداخل بين الصّور البلاغيّة، ونختم بالكناية التي في ختام القصيدة "صبابة بك نخفيها فتخفينا"، فالشاعر الذي أخفى صبابته يكاد يختفي من شدة النحول، وفي ذلك مبالغة كبيرة لإقناع الحبيبة بما أحدثه الهجر في حياته وفي جسمه.

كثرت الاستعارات في هذا النص وأدّت وظائف حجاجية إقناعية، فالاستعارة "بالإضافة إلى كونها تشكل إحدى الخاصيات الجوهريّة للغات الطبيعيّة، فإنها تعتبر من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه(الحجاجية، بل إنها تأتي في المقام الأوّل، لاسيما أن القول الاستعاري يتمتع بقوّة حجاجية عالية إذا ما قورن بالأقوال العاديّة"[29].

هذا عن الصّور البيانيّة التي كانت أقوى الأدوات اللغويّة الحجاجيّة في النّص لهيمنة الوظيفة الشعريّة فيه باعتباره شعرا وجدانيا. أمّا الأساليب، فاستعمل الحوار في المقطع الثالث والخامس والسابع والثامن والتاسع، وهو موجّه إلى الحبيبة(المرسل إليه).ويظهر

الأسلوب المباشر في أوّل بيت، والأسلوب غير المباشر في أغلب أبيات القصيدة التي يستعين فيها بالوصف والمقارنة وتجسيد المعاني بالصور البلاغيّة. وفي النّص الكثير من الإشارات إلى الغير السّامع، وهو الحبيبة المرسل إليه المباشر، والسامع الافتراضي وهو متلقّي النّص في أيّ مكان وزمان.

5 الانسجام:

1.5عمليات التداول الإنجازي: الانسجام هو ترابط دلالي يتحقق في النص بفضل مجموعة من العناصر و"يعني الطريقة التي تحقق التّرابط بين مجموعة المفاهيم المكوّن منها النص، ومعنى المفهوم هنا تشكيلة من المعرفة، (أي محتوى معرفي) يمكن استرجاعها أو استثارتها بقدر ما من الوحدة والاتّساق في الذهن"[30]. ولا تستقيم"نصية القطعة إلاّ بانسجامها وهذا يأتي عند إدراج النص ضمن إطار السياق، ولا يكتمل إلّا إذا اكتملت أبعاد النص وبعده التداولي أو توجهه الحجاجي، يتبلور خلال العملية التأويليّة التي تتم أثناء التفاعل والتبادل الكلامي"[31].

يعتبر فان دايك أن تحليل الانسجام يحتاج إلى تحديد نوع الدّلالة التي ستمكننا من ذلك. وهي دلالة نسبيّة، أي أننا نؤوّل الجمل أو القضايا في ارتباطها وعلاقتها بالجمل والقضايا السابقة عليها "فالعلاقة بين الجمل محددة باعتبار التأويلات النسبيّة"[32]

وتقوم عمليات التداول الإنجازي على عدة أنواع من الجمل و " ثمّة مجموعة من الجمل الإنجازيّة مثل التقريريات والطّلبيّات أو الأمريّات، والبوحيّات أو الإفصاحيات، والوعديات والتصريحات"[33].

يوجد في نصّ ابن زيدون مجموعة من الجمل الإنجازيّة مثل التّقريريّة كما في البيت الأول(مطلع القصيدة)، و الطلبيّة في البيت الثالث، "من مبلغ الملبسينا "و الأمريّة في " دومي على العهد ما دمنا محافظة" و"أولي وفاء". والبوحيّة في " لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت عنه النهى"، وقوله" إنّا قرأنا الأسى يوم النّوى سورا". والإفصاحيّة " أمّا هواك فلم تعدل بمنهله شربا". والوعديّة" لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا" و" عليك سلام الله ما بقيت صبابة بك" ففيها وعد بالبقاء على العهد في كلّ الأحوال. والتّصريحيّة في قوله:" والله ما طلبت أهواؤنا بدلا منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا"، ويستعين بالقسم في بداية التصريح قصد التّأكيد. وقد حققت هذه الجمل البعد التداولي للنص وأسهمت في انسجامه.

2.5 عمليات الترابط على مستوى المدلول:" تعنى بموضوع الخطاب، وبناء عوالم النّص الممكنة، واستجلاء التّيمات المهيمنة في النصّ، واستقراء عنوان النّص المركزي، واستكشاف عناوينه الفرعيّة، وعنونة المقاطع والمتواليات الموجودة في النّص، وتحديد الموضوع الكلّي للنّص"[34].

تبدو التّيمات المهيمنة في النّص هي الهجر والفراق بعد الحبّ والوصال، والتّمسّك بالوفاء، ومنها نستقري عنوان النص المركزي: ألم الفراق. وعناوينه الفرعيّة: 1- فراق الحبيبين، 2- حال الشاعر بعد الفراق،3- تمسّك الشّاعر بالعهد ومعاتبته للحبيب وسوء حاله بعد الفراق،4- زمان الوصل السعيد، 5- وفاء الشاعر ومناجاته لمظاهر الطبيعة، 6- جمال الحبيبة وعلوّ مكانتها الاجتماعيّة،7- نعيم الشّاعر بقرب الحبيبة وجحيمه بعد هجرها، 8- حزن الشّاعر للفراق وتمسّكه بحبّه،9- طلب الشاعر مبادلة الوفاء بالوفاء.ونصل بعد هذا إلى تحديد الموضوع الكلّي للنّص، وهو معاناة الشاعر من تباريح الحب وقسوة الجفاء وتمسّكه بالوفاء، وقد ترابطت دلالات المقاطع ودارت في فلك هذا المعنى الكلّي.

وفي الأخير نجد أن هذا النصّ توافرت فيه شروط الاتّساق والانسجام التي تبحث عنها لسانيات النّص، وجاء النصّ حسب تعريف فاينريش كلّية مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام شديد، بحيث تسهم كلّ جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التّالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السّابقة عليها فهما أفضل. وبذلك تحقق في النص الانسجام والتماسك.

6. خاتمة:

في ختام هذا البحث الذي حلّلنا فيه قصيدة ابن زيدون النونيّة وفق المقاربة اللسانية النصية، توصّلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

1-النصّ وحدة كبرى تتكوّن من أجزاء ترتبط فيما بينها نحويّا ودلاليّا، ولكي يتّصف بالنّصيّة من حيث المعنى ينبغي أن يتوفّر على ميزة الاتّساق.

2-تقطيع النص إلى وحدات أو متواليات هو إجراء بنيوي يساعد في تحليل النص الشعري، ويرتكز على تمفصله من حيث المعنى، وبناء عليه قسّمنا قصيدة ابن زيدون إلى تسعة مقاطع، وحدّدنا نوع كلّ مقطع؛ إخباري، وصفي، حواري.

3-الاتساق هو العلاقات المعنويةّ القائمة داخل النص، والتي تتحقق من خلال مختلف أدوات الرّبط، وقد حدّدنا روابط الاتساق في كل مقطع من النص الشعري، وتمثلت في الضمير المتصل "نا" الذي يدلّ على تركيز الشاعر على ذاته وعلى حبيبته، أي على المرسل والمرسل إليه. والتكرار الذي خدم البنية الإيقاعيّة إضافة للمعنى، والتعارض الذي استخدمه الشاعر ليدلّ على تبدّل الحال، والاستفهام الذي يربط بين دلالة المقاطع حينا، ويدل على العتاب حينا آخر.

4-اعتمد الشاعر في الحجاج على الأدوات اللغوية الحجاجية خاصّة الصور البيانية وأساليب الحوار والسرد والأسلوب المباشر وغير المباشر، وهذا راجع لطبيعة النص الشعري الذي يعتمد أكثر من غيره على التصوير البياني، وقد ارتكز عليه الشاعر لإقناع المرسل إليه(الحبيبة) والتأثير فيها قصد استعطافها. وأكثر الصور المستخدمة الاستعارة التي جسدت الأمور المعنوية في أمور حسّية تجلّي المعنى أكثر.

5-اعتمد النص على الجمل الإنجازيّة مثل التقريرية والطلبيّة والأمريّة والبوحيّة والإفصاحيّة والوعديّة والتصريحيّة التي أدت دورا هامّا في التداول الإنجازي وانسجام النص الذي اكتمل مع عمليات الترابط الدّلالي، الذي تجلّى من خلال تحديد التّيمات المهيمنة في النص، وعناوين متواليات النص التي صبّت في الموضوع الكلّي له.

6-تمتّع النص الشعري المدروس بالتّرابط والتّماسك والاتّساق الذي ضمنه استخدام مجموعة من العناصر اللغوية التي عملت على ربط أجزاء النص، وجعلته يتميّز بصفة النصيّة.

مراجع البحث وإحالاته:

1)- سعيد يقطين: انفتاح النص الرّوائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001، ص14.

2)- خالد حميد صبري: اللسانيات النصية في الدراسات العربيّة الحديثة، بحث في الأطر المنهجية والنظرية، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015، ص32.

3)- نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص43-44.

4)-جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص17.

5)- المرجع نفسه، ص57.

6)-ينظر كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005، ص28،

7)- هشام عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، 2007، ص11.

8)-نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص42.

9)-خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص169.

10)- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص62.

11)- ابن زيدون: الديوان، دار الراتب الجامعيّة، بيروت، ط1، 2008، ص267.

12)-المصدر نفسه، ص267.

13)- المصدر نفسه، ص268.

14)- المصدر نفسه. ص271-272.

15)- المصدر نفسه، ص272.

16)- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، ط1، 2015, ص62.

17)- المرجع نفسه، ص63.

18)- Halliday.M.Ak and R.Hassan: Cohesion in English, Longman, London, 1976, p4.

19)- محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006، ص15.

20)- فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000، ص132.

21)- مختار حبّار: الشعر الصوفي القديم في الجزائر، إيقاعه الداخلي ووظيفته، ديوان المطبوعات الجامعيّة،1997، ص107.

22)-نعمان بوقرّة: المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص100.

23)- كيرتن أدمستك: لسانيات النص، عرض تأسي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009، ص296.

24)- محمد طرّوس: النظريّة الحجاجية من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللسانيّة، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص92.

25)- المرجع نفسه، ص138.

26)- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص64.

27)- أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، الأحمديّة للنشر، ط1، 2007، ص39.

المرجع نفسه، ص28.37) -

29)- المرجع نفسه، ص 46.

30)- إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظريّة روبرت ديبوجراند، وولفجانجدريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999، ص27.

31)- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات، ص170.

32)-Van Dijk :T.A : Text and context, Longman, London, p95.

33)- جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص65.

34)- المرجع نفسه، ص66.

قائمة مراجع البحث:

1-ابن زيدون: الديوان، دار الراتب الجامعيّة، بيروت، ط1، 2008.

2-أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، الأحمديّة للنشر، ط1، 2007.

3-إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظريّة روبرت ديبوجراند، وولفجانجدريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999.

4-برينكر كلاوس: التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005.

5-جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، ط1، 2015.

6-خالد حميد صبري: اللسانيات النصية في الدراسات العربيّة الحديثة، بحث في الأطر المنهجية والنظرية، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015.

7-خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص169.

8-سعيد يقطين: انفتاح النص الرّوائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2001.

9- فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000.

10-كيرتن أدمستك: لسانيات النص، عرض تأسيي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009.

11-محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006.

12-محمد طرّوس: النظريّة الحجاجية من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللسانيّة، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005.

13-مختار حبّار: الشعر الصوفي القديم في الجزائر، إيقاعه الداخلي ووظيفته، ديوان المطبوعات الجامعيّة،1997.

14-نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

15-هشام عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، 2007.

-16Halliday.M.Ak and R.Hassan: Cohesion in English, Longman, London, 1976

-17Van Dijk :T.A : Text and context, Longman, London